الأثنين 28-01-2013 العدد 12391

«خطاب الجماعات المسيحية»: قلقٌ وبحث عن دور وطني

«هل من الممكن تقوية الوجود المسيحي والانفتاح على الآخر المختلف؟» سؤال طرحه مؤتمر «خطاب الجماعات المسيحية» في «الجامعة اليسوعية» (محمد شرارة)

صمتُ «مسيحيي الشرق» في ظل الانتفاضات والأزمات العربية ليس دقيقاً، ويحتاج إلى تحليل وإعادة نظر. هذا ما طرحه «مركز الشرق المسيحي للبحوث والمنشورات» في كلية العلوم الدينية – «جامعة القديس يوسف»، في مؤتمر «خطاب الجماعات المسيحية في الشرق الأدنى في زمن الأزمات» الذي ختم فعالياته أمس الأول في قاعة محاضرات فرنسوا باسيل في مبنى الابتكار والرياضة في الجامعة.

استهلّ مطران حلب للكلدان أنطوان أودو، أمس الأول، جلسة «التحديات الراهنة» بمداخلة تناولت «الخطابات المسيحية» في سوريا، «بين الحذر من الصمت والشجاعة في الكلام». وقدم قراءة نقدية للأزمة الحالية السورية وتأثيرها على خطابات المسيحيين. فاعتبر أنه «على مدى خمسين عاماً من الحكم العسكري، في سياق عربي- إسلامي يتسم بالانتماءات القبلية والدينية والعرقية، حافظ النظام السوري على وحدته في بلد متنوّع عرقياً ودينياً. وتميّز بتوحيد الخطاب الرسمي والأيديولوجي، لكنه كبح إمكان تطوير أي خطاب تحليلي ونقدي». فاستنتج أن الخطاب الشمولي أدى إلى بناء ثقافة صمت وخطاب خشبي في الأوساط المسيحية.

بعد عرضه السياق السياسي السوري وتأثيره على «خطابات المسيحيين»، توقف أودو عند مقالات للمعارضَين السوريَين ميشيل كيلو وبطرس الحلاق، نُشرت خلال العامين الماضيين. في مقاليه في جريدة «السفير» («مسيحية قلقة» في ٣١ آب ٢٠١١؛ و«مسيحية للشعب» في ١٦ حزيران ٢٠١٢)، انتقد كيلو مواقف الكنيسة السورية، التي أصبحت أشبه بمؤسسة سياسية تعمل على تعزيز الوضع القائم. وانتقد كيلو أحد أساقفة دمشق بوصفه «رجلاً في خدمة المخابرات»، معتبراً أن «الكنيسة هي كنيسة الرب وليست كنيسة أمراء أجهزة الاستخبارات».

وأعاد أودو التذكير بمقال لبطرس الحلاق في «السفير» («أصحاب السيادة أساقفة دمشق.. رفقاً بالوطن وبالمسيحية!» في ١٤ تموز ٢٠١١) الذي دعا فيه إلى رفض التدخل الأجنبي وتعزيز الوحدة الوطنية. واستخلص أودو من النصوص المختارة أنه منذ بداية الأحداث، لم يصدر عن الكنيسة أي موقف مؤيد للمعارضة، أو على الأقل، لم تنتقد استخدام العنف من جانب النظام.

إعادة النظر في الخطاب المسيحي

في ظل الانتفاضات والصراعات الراهنة قابله انتقاد لقيام خطاب مسيحي قائم في ذاته. فاعتبر رئيس تحرير «السفير» طلال سلمان أن «لا أزمة للخطاب المسيحي مع الإعلام، وإنما الأزمة في أن يكون ثمة خطاب مسيحي بانفصال تام عن سائر مكونات المجتمع الواحد الذي افترض أنه يجمع أبناءه كافة بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية».

وحذر من خطورة أن يصبح «لكل مجموعة دينية خطابها الخاص المختلف بل والمتنافر مع خطب المجموعات الأخرى، ما يهدد وحدة الشعب ويصدع وحدة الدولة وينذر بتفككها كانتونات طائفية ومذهبية». ولفت سلمان إلى أن هناك أمراً واقعاً لا يفيد إنكاره، وهو أن «تميز كل جماعة بخطابها هو تعبير عن شعورها العميق بالخطر، علماً أن الخطر يتهدد الجماعات كلها، ولم يحدث مرة أن كان الانقسام مصدر اطمئنان وتقدم لجماعة بالذات».

وإذ رأى أن «الإعلام ليس في منأى عن الاصطفاف الطائفي، وأنه يعيش أزمةً حقيقية»، شدّد على أن «استقلال كل طائفة بإعلامها يهدّد باندثار الصحافة كمنبر ديموقراطي جامع. وما نشهده من حروب الفضائيات والمحطات المحلية ينذر بخطر أكيد على الوحدة الوطنية». وكشف أن الصحافة تعيش قلقاً على المصير لأنها تفقد دورها كأرض لقاء بين الآراء والأفكار، وتتحوّل إلى متاريس متواجهة. وأكد أن الإشكالية ليست أزمة الخطاب المسيحي مع وسائل الإعلام، بل أزمة الإعلام مع غياب الخطاب الوطني.

وكان المؤتمر تناول، في أيامه الثلاثة، الأبعاد التاريخية والفكرية والسياسية والثقافية لـ«خطاب الجماعات المسيحية». وألقى رئيس الجامعة الأب سليم دكاش كلمة أكّد فيها أن «وجهة هذا المؤتمر العلمي ليست فئوية أو طائفية، بل إنها وجهة وطنية». فأهمية هذا المؤتمر أنه يفتح باب النقاش في شأن ملفات وقضايا شائكة عن «الارتباك الذي يسود مواقف المرجعيات المسيحية والدينية والثقافية إزاء حركة الربيع العربي ونتائجها في بعض البلدان».

«هل من الممكن العمل على تقوية الوجود المسيحي والانفتاح على الآخر المختلف، وكيف يمكن التوفيق بينهما من دون الغرق في الانعزال؟»، أحد الأسئلة التي طرحها المؤتمر في جلسته الختامية، بعد قراءة أولى للوقائع ومحاولة بلورة الإشكاليات الأساسية والأسئلة المحورية، في إطار مشروع بحثي يمتد لثلاث سنوات في شأن «خطاب مسيحيي الشرق».

كارول كرباج

Select info S.A.L. "Only Your Selected Information"